التجديد في مجال تعليم اللغة وتعلُّمها

أ. د. محمود السيد
رئيس لجنة التمكين للغة العربية

نحاول في بحثنا الحالي أن نقف أولاً على أن سلامة اللغة إنما تكون في تطويرها وتجديدها لا في جمودها، ثم نسلّط الأضواء على مناحي التجديد في مجال تعليم اللغة وتعلمها في ضوء مستجدات العصر وثورة التقانة.

أولاً: سلامة اللغة في تجديدها

لما كانت اللغة مرافقة للأحياء الذين يستعملونها، خضعت لتبدلات العصر وتغيراته، وسلامة أي لغة تكمن في تطورها ومواكبتها لروح العصر، فهي كائن حي يخضع لناموس الارتقاء والنمو، ولا بدّ من توالي الدثور والتوليد فيها، سواءٌ أراد أصحابها ذلك أم لم يريدوا، وإن أي لغة تخضع للتغير المستمر في أصواتها وتراكيبها وعناصرها وصيغها ومعانيها، وإن اختلفت سرعة التغير فيها من مرحلة زمنية إلى أخرى فهي موجودة على أي حال.

ومن البديهي أن تخضع اللغة للتغيير والتجديد ما دامت مكتسبة، إذ ما دامت مكتسبة فإنها تخضع للتغيير المستمر، ذلك لأن الأمور المكتسبة في تعلمها، تتطور بتطور العلم والتقانة والمجتمع بعاداته وتقاليده. ثم إن ثمة عوامل كثيرة تؤثر في اللغة وتعمل على تغييرها مثل الاحتكاك بالمجتمعات الأخرى والتطور العلمي والتقاني، حيث يميل الناس إلى السرعة والدقة، وقد ترجع التغيرات اللغوية إلى عوامل الجغرافيا، وهذه العوامل تقوم بدور كبير في تغيير اللغة من حيث مفرداتها وألفاظها ومدلولاتها، ذلك لأن اللغة كغيرها من الظواهر الاجتماعية لا

تكف عن التفاعل والتأثير والتأثر، و«ليس فساد اللغة إلا أن تتحجر في مكانها، فلا تملك أن تبين عما تجيش به الحياة العقلية والاجتماعية على مر الزمن من أفكار وأحداث وفق ما يراه المجمعي محمود تيمور»[1].

ولغتنا العربية شأنها شأن سائر اللغات كانت في حركة دائبة، إذ إنها لم تعرف الركود في مسيرتها إلا في عصر الانحدار، فقد استطاعت في الجاهلية أن تعبر عن تجارب أصحابها. وعندما ظهر الإسلام بمفاهيمه الجديدة استطاعت أن تتمثل هذه المفاهيم، وأن تعبر عنها أيما تعبير، فهي لغة أصيلة مرنة مطواعة. وفي العصر الحديث عبرت عن حاجاته واتجاهاته، فازدادت مفرداتها غنًى بالوضع تارة، وبالاشتقاق تارة أخرى، وتنوعت أساليبها وفق مقتضيات هذا العصر، فظهرت مصطلحات جديدة اقتضتها طبيعة العصر في ميادين المعرفة كلها من فلسفة وطب وعلوم ورياضيات... الخ[2].

ولما كانت اللغة كائناً حياً قابلاً للنماء والتطور، كانت الخطوة الأولى في طريق النماء تتمثل في تحديث برامج التعليم تحديثاً جذرياً لا يتوقف عن التطور والتجدد، انطلاقاً من أن العملية التعليمية التعلمية هي عملية قابلة للإضافة في ضوء تقدم العلم الذي يحيط بها، والذي لا يتوقف تطوره عند حد، وفي ضوء معطيات العصر المتطور والمتوثب والمتغير في منظوماته كافة.

ولم يكن بعض الباحثين في التجديد اللغوي على نطاق الساحة القومية في العصر الحديث ليهمل الإشارة إلى العملية التعليمية التعلمية في النهوض باللغة العربية، والارتقاء بها لتواكب روح العصر وتماشي مستجداته، فها هو ذا أنيس الخوري يتساءل: «وكيف تكون اللغة حية إلا بإخراجها من مدافن التقليد الأعمى التي وضعها فيه النحاة واللغويون والمتحذلقون أو مقلدوهم في هذا الزمان، وإخراجها إلى رحاب الأدب والعلم والفنون؟ ويؤكد أن اللغة لن تكون وحدة لأمة ما لم يفهم القائمون بأمرها أنها ككل جسم حي يجب أن تجري في سبيل النشوء والارتقاء، فلا

---

[1] محمود تيمور ــ مجلة المجمع اللغوي بالقاهرة ــ ج9.

[2] الدكتور محمود السيّد ــ في طرائق تدريس اللغة العربية ــ جامعة دمشق ــ 2004/2003 ــ ص238.

يرجعون بها، كما يحاول بعضهم، من صاغة الكلام ومجامع اللغة، إلى بوادي الجاهلية وفَدافِد القِدَم، بل يتقدمون بها نحو الجمال المتبقي المبني على الفكر الصافي والشعور العميق، والمبادئ العلمية والأساليب السلسة والطرائق السهلة، فيهذبون نحوها ويستسهلونه، ويحيون آدابها وتاريخها بإحياء الروح العالية في نفوس أبنائها»[3].

ويرى المفكر الدكتور قسطنطين زريق في هذا المجال أن ثمة سباقاً مرهقاً بين تحديث اللغة من جهة، وتضخم مهمتها في مجاراة ذلك التطور من جهة أخرى، ويجد في ذلك صعوبة خارجية ناتجة عن تسارع تطور العلم وتكاثر محدثاته في جميع الحقول. أما الصعوبة الداخلية فيراها متمثلة في تعثر قضية تيسير قواعد اللغة العربية من جهة، وفي قلة العناية التي بذلتها السلطات التربوية في البلدان العربية في تدريب معلمي اللغة وتثقيفهم، لأن المعلم لا المنهج، ولا الكتاب، ولا المقررات، هو مبعث العملية التربوية، ولو يؤهل فكراً وثقافة فإنه يُحبِّب إلى طلابه هذه اللغة ويقربها من مداركهم، ويُشيع في نفوسهم الرغبة في إتقانها والتمتع بغناها وغنى ثرواتها[4].

وكانت الصيحة التي أطلقها الأديب نجيب محفوظ في مجال التجديد اللغوي قوية وجريئة، فلنستمع إليه يقول: «إنه لا يقضي على لغة مثل تقديسها والمحافظة على تراثها، ونحن نشعر نحو العربية بالقداسة بما هي لغة القرآن الكريم، ولكن القرآن سيظل هو القرآن، وستبقى لغته دون تغيير أو تحوير، تتلى علينا ليلاً ونهاراً، وتقرأ إذا قرئت مصحوبة بالهوامش المفسرة، فلا خوف بعد ذلك من أن تتمتع العربية بالحرية التي تحظى بها اللغات الحديثة التي تصير لغة عصرية بكل معنى الكلمة، وأن تستوعب جميع الأفكار، وجميع الأشياء»[5].

---

[3] فتاوى كبار الكتاب والأدباء في مستقبل اللغة العربية ــ سلسلة آفاق ثقافية ــ وزارة الثقافة ــ 2003 ــ ص96.

[4] المرجع السابق ــ ص187.

[5] المرجع السابق ــ ص204.

ويرى أن حركة تقدم لغتنا تعتبر بطيئة بالقياس إلى روح العصر المتمثلة في سرعته وتفجر معلوماته، وكثرة مخترعاته، وتنوع سلعه[6].

وإذا كانت رؤية أديبنا الكبير عامة في أن ثمة هوة بين بطء حركة لغتنا والتفجر المعرفي للعصر الذي نحيا فيه، فإن هنالك من يرى أنه إذا كانت ثمة إشكالات تعترض استعمال اللغة العربية الجديدة في العلوم ومبتكرات الحضارة والآداب والفلسفة وغيرها، فإن هذه الإشكالات تعود لأسباب لا تتعلق باللغة نفسها، منها أن طرائق تعليم العربية ولاسيما قواعدها هي طرائق قديمة عقيمة تعقد الأمور أمام المتعلم، وهذه مشكلة تربوية كما هو واضح، ومنها عدم وجود المدرسين الأكفياء المالكين لزمام العربية، وهي مشكلة تربوية أيضاً، ومنها عدم توحيد المصطلحات المستجدة في اللغة في هذا العلم أو ذاك، وهذا يعود إلى عدم التنسيق بين المشتغلين في العلم الواحد في مختلف الأقطار، وعدم قيام المؤسسات الثقافية العربية بدورها في هذا الميدان إلا في نطاق ضيق، وهذه مشكلة سياسية.

ومنها أن مبتكرات الحضارة وتطور العلوم والتطور المعرفي عموماً، يسير في العالم بخطوات سريعة لا يمكن اللحاق بها دون جهود مخططة ومبرمجة ومدروسة، وهو أمر لم نُعِدَّ أنفسنا له، وهي مشكلة حضارية[7].

ويظن نفر من اللغويين العرب أنهم في تشددهم اللغوي في عدم قبولهم إلا ما ورد في المعاجم القديمة، إنما يحافظون على سلامة اللغة، ولكن فاتهم أن يقروا بأن اللغة أوسع من معاجمها، وأن سلامة اللغة لا تكون في الجمود، وإنما في الاحتفاظ بأصول اللغة وقواعدها ونظامها، ثم في تعبيرها عن حاجات العصر ومتطلباته، وما حال الذين يرفضون كل جديد بحجة المحافظة على اللغة إلا كحال الذي يريد أن يحافظ على جمال الأزهار وطيب رائحتها بوضعها في خزائن حديدية، فتؤدي تلك المحافظة إلى ذبولها. وما دامت اللغة كائناً حياً كانت

---

[6] المرجع السابق ــ ص203.

[7] المرجع السابق ــ ص227.

المحافظة الصحيحة على الكائنات الحية تتمثل في تطويرها وجعلها مطابقة للبيئة التي تعيش فيها، على حدّ تعبير الأستاذ الدكتور محمد كامل حسين عضو مجمع اللغة العربية في القاهرة رحمه الله[8].

ولما كان موضوع بحثنا يقتصر على التجديد في مجال تعليم اللغة وتعلمها كان الخوض في ميادين التجديد في عناصر المنظومة اللغوية مَعاجَم ونحوً وبلاغةً وعروضاً وغيرها يستلزم بحوثاً أُخَرَ، سيقوم عدد من الزملاء بعرض بعضها، وسأقتصر فيما يلي على التجديد في مجال تعليم اللغة وتعلمها.

ثانياً: التجديد في مجال تعليم اللغة وتعلمها

تجلى التجديد في مجال تعليم اللغة وتعلمها في ضوء النظرة إلى اللغة بين التربيتين التقليدية والمعاصرة، ومنعكسات نظريات علم النفس من سلوكية وجشتالية، أو منعكسات علوم اللسان على الجانب التطبيقي من اكتساب اللغة، ويمكن تلخيص هذه التجديدات فيما يلي:

1. الانتقال من التحفيظ والتسميع والتلقين إلى التمهير:

كان ينظر إلى اللغة من قبلُ على أنها مجموعة من الحقائق والأحكام والقواعد، وما على المعلم إلا أن يلقنها للمتعلم تلقيناً، وما على المتعلم إلا أن يحفظها ويستظهرها، وبقدر درجة حفظه لها يعد متمكناً من اللغة.

وكان الشغل الشاغل لمعلمي اللغة العربية في مراحل التعليم كافة، ابتداءً من التعليم الأساسي وانتهاءً بالتعليم الجامعي مروراً بالتعليم الثانوي، هو حشو أذهان الدارسين بقوالب جامدة، وقوانين هامدة لا روح فيها ولا حياة، يتلقونها نتفاً وأجزاءً متفرقة ومبعثرة وممزقة الأوصال، مما أبعد المتعلمين عن فهم طبيعة اللغة وماهيتها ووظيفتها في حياتهم، وأبعد اللغة

---

[8] الدكتور محمد كامل حسين ــ العربية المعاصرة ــ دار المعارف بمصر ــ 1976 ــ ص4.

العربية عن صفات العلمية والحيوية والحداثة، وأفقدها معايير التقدم والتطور والنمو[9].

وهذه الطريقة المتبعة في تعليم اللغة من قبل، كانت تقدم اللغة لأبنائها بأسلوب نمطي أحال اللغة إلى قوالب جامدة لا حياة فيها ولا روح، وسلبت المتعلمين حقهم في المشاركة والتفاعل في اكتساب المعرفة، وأبقتهم في إطار ضيّق لا يتسع لأكثر من حفظ ما يتلقونه وترديده.

أما التربية المعاصرة فرأت أن تعليم اللغة يهدف إلى إكساب المتعلمين المهارات اللغوية الأربع محادثةً واستماعاً وقراءةً وكتابةً، والمهارة تعني الأداء المتقن القائم على الفهم وإدراك العلاقات والاقتصاد في الوقت والمجهود معاً. وتشتمل كل مهارة من هذه المهارات على عدة مهارات فرعية في الوقت نفسه، فمهارة القراءة على سبيل المثال تشمل مهارات فيزيولوجية تتمثل في تَعَرُّف الحروف والكلمات والنطق بها صحيحة، وحركة العين في أثناء القراءة والسرعة فيها، ومهارات عقلية تتمثل في ثروة المفردات وفهم المعاني القريبة والمعاني البعيدة واستخلاص المغزى، والتفاعل مع المقروء، ونقده، وتوظيفه.

ولقد تأثرت التربية المعاصرة في نظرتها إلى تعليم اللغة وتعلمها بالمذهب السلوكي في علم النفس، الذي يرى أن اللغة مجموعة من العادات كغيرها من العادات السلوكية، وحمل العالم «سكينر Skinner» في جامعة هارفارد لواء هذا الاتجاه في كتابه المشهور «السلوك اللغوي Verbal Behavior»[10].

إلا أن الوصول إلى العادة يمر بتكوين المهارة، ومما يساعد على تكوين المهارة اللغوية الممارسة والتكرار، على أن يكون هذا التكرار مبنياً على الفهم، وعلى أن يكون المشرف على تعليم اللغة وتعلمها أنموذجاً ومثالاً في ممارسة اللغة، وعلى أن يتبع أسلوب التعزيز والتشجيع لأداء المتعلم إن أجاد، وتوجيهه إلى الممارسة الصحيحة إن أخطأ.

ويكون التعزيز في البداية بين المعلم والمتعلم، وللبيئة الخارجية النقية من التلوث اللغوي

---

[9] الدكتور محمد علي الملا ــ اللغة العربية رؤية علمية وبعد جديد ــ مكتبة نهضة الشرق ــ 1995 ــ ص38.

[10] B. F. Skinner - Verbal Behavior (N. Y. Appleton Century Crofte) 1957.

في مناشطها وفعالياتها دور كبير في هذا التعزيز، إلا أن أفضل أنواع التعزيز هو التعزيز الداخلي عندما يحس المتعلم بالمتعة وهو يمارس اللغة، فيدفعه ذلك الإحساس إلى تكرار الممارسة حباً وشغفاً لا خوفاً ولا طمعاً، وتتكون لديه مهارة التعلم الذاتي الذي هو أساس للتعلم المستمر.

أما في مجال التوجيه فإن التجديد الذي طرأ على تعليم اللغة وتعلمها هو أن يكفَّ المعلم عن التدخل السلبي لتصحيح لغة المتعلم، وإنما عليه أن يفسح في المجال للمتعلمين لأن يعبروا عن فكرهم وعدم مقاطعتهم في أثناء الكلام، ثُم يقوم في ضوء خطة مبرمجة بتذليل الصعوبات والأخطاء المرتكبة.

ولما كان تعليم اللغة يستلزم محاكاة اللغة السليمة، كان توفر القدوة الحسنة من المعلمين كافة أمراً على درجة كبيرة من الأهمية، كما أن تنقية البيئة التعليمية التعلمية من الأخطاء اللغوية يسهم في عملية تعليم اللغة وتعلمها، آخذين بالحسبان كثرة المران والممارسة والتدريب المستمر واتباع الأساليب التشجيعية التعزيزية في تعليم اللغة وتعلمها بدلاً من أساليب القسوة والشدة على المتعلمين. وغدا العبء مُلقًى على كاهل المتعلمين، وتم الانتقال من التعليم إلى التعلم بإشراف المعلمين وتوجيههم، والابتعاد عن إعطاء المعلومات جاهزة، وعن التلقين والتحفيظ، بهدف تنمية روح المناقشة وغرس حب التنقيب والبحث في نفوس المتعلمين وحب الاطلاع المستمر، ومحبة الكتاب والمكتبة بما تشتمل عليه من مصادر المعلومات المختلفة.

وما دامت اللغة مكتسبة بالمحاكاة، فإن محاكاة اللغة الجميلة في النصوص الشعرية والنثرية يؤدي إلى اكتساب اللغة السليمة. فإذا حفظ المتعلمون الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة والنصوص الشعرية والنثرية الجميلة أو بعضها، فإن ذلك يساعدهم على اكتساب اللغة على أن يكون الحفظ بعد التمثل والفهم، وأن يترك للمتعلم حرية الحفظ بعد الفهم، فإذا أحب المتعلم النص بعد فهمه، وأدرك مقاصده فإن هذا الحب كفيل بأن يدفعه إلى حفظه كله أو بعضه.

ومن هنا جرى العدول عن الطريقة القياسية في تدريس الأدب والنحو والبلاغة والعروض إلى الطريقة الاستقرائية وإلى الطريقة الكلية، كما عُدِل عن الطريقة التركيبية في تعليم القراءة للمبتدئين إلى الطريقة التحليلية، ومن ثمَّ إلى الطريقة الكلية التي تجمع بين التحليل والتركيب، وعُدِل عن المنهج البلاغي في تدريس الأدب إلى المنهج المتكامل في ضوء معطيات المنهج النفساني والاجتماعي والهيكلاني والشكلاني.

وفي ضوء هذا التوجه وضعت الأهداف السلوكية للعملية التعليمية التعلمية، وحددت المهارات اللغوية والكفايات المراد إكسابها للمتعلم في نهاية حلقة دراسية أو مرحلة معينة، وشقّ هذا التحديد طريقه إلى الدروس نفسها.

2. التهيئة اللغوية قبل البدء بتعليم القراءة والكتابة:

لقد كانت التربية التقليدية تبدأ بتعليم الطفل القراءة والكتابة من غير تهيئة أو استعداد لهما. أما التربية المعاصرة فتعمل على تعويد الطفل ممارسة الأنشطة في التمثيل والحوار والمناقشة وارتياد الأماكن المخصصة للأنشطة المختلفة من فن وموسيقى ورياضة وغيرها، على أن يقوم بممارسة هذه الأنشطة فيزداد تعلقاً بها، وعلى أن تتوفر القدرة من المربيات باستخدام اللغة السهلة والميسرة في الأجواء التي تمارس فيها هذه الأنشطة.

وإذا كان ثمة تدرج في تقديم المهارات اللغوية فإن الاستماع والمحادثة يهيئان للقراءة والكتابة، وهذا الطريق يساير مراحل الطفولة نفسها، كما يساير المراحل التي مرت بها المجتمعات البشرية، إذ من المعروف أن الطفل يفهم بعض الألفاظ قبل أن ينطق بها، فالاستماع أولاً، ويأتي الكلام الشفهي ثانياً، ثُم ينتقل إلى مهارتي القراءة والكتابة.

والتدريب على الاستماع في المراحل الأولى تمارسه المعلمة من خلال سرد القصص الممتعة في موضوعاتها، والمشوقة في أساليبها والمناسبة لسن الأطفال، والمرتبطة ببيئتهم وبالمناسبات المختلفة التي تمر بهم، على أن تكون لغة المعلمة صحيحة النطق وسليمة الأداء، وعلى أن يُعتَمَد أسلوبُ التنويع في وسائل الاستماع حتى لا يمل الأطفال، وأن يقوم الطفل

بتمثيل الأدوار والمواقف، ويعطى الفرصة للتدرب على نطق بعض الألفاظ التي تحتاج إلى عناية خاصة، وعلى أن تُستعمل في ذلك كله وسائل التعليم الحديثة والتقنيات التعليمية.

ثُم إن التدريب على المحادثة في الأشهر الأولى يُعوِّد الأذنُ سماعَ أصوات اللغة والتمييز بينها، إذ إن هذا التدريب يحقق نوعين من التهيئة أولاهما صوتية وتتمثل في تذليل صعوبات النطق والتمرين على سماع الأداء اللغوي والنبرة الصوتية فتألف آذان الأطفال اللغة وأنماطها وصيغها، أما التهيئة الثانية فهي نفسية، إذ إن المحادثة تعمل على إزالة الخوف، وتكسر حدة الخجل والانطواء عند الأطفال الذين يحسون بالوحشة والانطواء في الأسابيع الأولى من قدومهم إلى الروضة أو المدرسة.

أما مرحلة تنمية الاستعداد لتعلم القراءة فتكون في رياض الأطفال، إذ تُجرى فيها تدريباتٌ في الإدراك والملاحظة والتصنيف، والتعبيرات الصوتية والأدائية والغناء والرسم والتقليد. وثمة خطر في البدء بتعليم الطفل القراءة وهو غير مستعد لها، وليس لديه دافع. ويمكن البدء بتعليمهم القراءة إذا كانوا مستعدين ولديهم دافع، وهم يغتبطون باكتشاف رموز اللغة المكتوبة اغتباطهم باكتشاف رموز اللغة الشفهية، وهناك عدة عوامل تؤثر في مدى استعداد الطفل لتعلم القراءة، ومن هذه العوامل[11]:

أ. جو الأسرة.

ب. مستوى النضج الجسمي من حيث النظر والسمع والبيئة.

ج. النضج اللغوي من حيث الوظيفة الرمزية للكلمات ودلالتها والصور التي تعبر عنها وأصواتها والحركات والأشياء، ومن حيث الاتصال والمظهر الكمي للغة الطفل متمثلاً في رصيده الشفهي، وأخيراً من حيث مستوى الذكاء.

3. استعمال اللُّعَب اللغوية في العملية التعليمية التعلمية:

للُّعَب اللغوية فوائد عديدة منها تزويد المتعلم بالمعلومات والمفاهيم والخبرات الجديدة وتنمية

---

[11] الدكتور محمود أحمد السيّد ــ طرائق تعليم اللغة للأطفال ــ وزارة الثقافة ــ 2008 ــ ص79.

قدرته على التفكير والمهارات العقلية واستعداداته وقدراته كالقدرة المكانية والعددية واللغوية، وإغناء خيال الطفل، وتنمية المهارات اللغوية استماعاً وحديثاً وقراءةً وكتابةً، ويمكن تعليم الأطفال، من خلال اللُّعب اللغوية، المفاهيم اللغوية كالمفاهيم الخاصة بالحيوان وبالألوان وبأجزاء الجسم، والمفاهيم الخاصة بالإفراد والتثنية والجمع والتذكير والتأنيث... الخ.

وهكذا نظر إلى اللُّعَب اللغوية على أنها عامل أساسي لتعليم بعض المفاهيم اللغوية للطفل، إذ بطريقها يبدأ الطفل في التعبير عن نفسه والتوجه إلى الآخرين، والتفاعل معهم بالاستماع إلى كلامهم، والتحدث إليهم، وهذا الأمر يؤدي إلى الإسهام في النمو اللغوي للطفل، ولهذا النمو قيمة كبيرة في التعبير عن النفس، والتوافق الشخصي والاجتماعي والنمو العقلي.

4. استعمال التعليم الإلكتروني في تعليم اللغة وتعلمها:

يهتم التعليم الإلكتروني في تعليم اللغة وتعلمها بـــ:

1. توفير مواقع تعليمية على الشابكة المحلية «انترانيت Intranet» و«الشابكة العالمية Internet» لعرض المادة التعليمية.
2. الاتصال الكتابي بالمحادثة عبر شبكات المعلومات لمناقشة المادة التعليمية بين عناصر العملية التعليمية، ومع متعلمين في هذا المجال من مختلف دول العالم.
3. الاتصال الشفهي الثقافي المشترك بين المتعلمين وهيئة التدريس في أي وقت، ومن أي مكان.
4. الاتصال البصري باستخدام عرض الرسوم والصور والأفلام الرقمية ومشاهدة الآخر.
5. عرض الثقافة واللغة العربية على المشاهدين في العالم ومتعلميه.
6. المشاركة في مؤتمرات الفيديو عن بعد بمشاركة طلاب من جميع دول العالم ومشاركة هيئات تدريس لمناقشة القضايا اللغوية والتعليمية عبر شبكات المعلومات.
7. عرض أنشطة الطلاب التعليمية والثقافية على أنها أحد أساليب التعليم الحديثة، ونشر الثقافة العربية عبر شبكة المعلومات.
8. استعمال لوحات المناقشة في عرض أفكار المتعلمين ومناقشتها، مما يساعد في تنمية روح

العمل الجماعي.

9. استعمال الصحف الإلكترونية لعرض إبداعات المتعلمين اللغوية.

10. تشجيع المتعلم الخجول على التحدث والكتابة والتعبير عن نفسه أمام أقرانه في العالم.

11. تنمية مجتمع المعلومات العالمي.

12. الإسهام في تحقيق أقصى درجات التفوق لدى كل متعلم من خلال مساعدة المتعلمين بعضهم لبعضهم الآخر، وطلب مساعدة هيئة التدريس من أي موقع تعليمي على شبكة المعلومات.

13. الترجمة الفورية للجمل والكلمات من اللغات الأخرى إلى العربية، وعرض المفردات المتنوعة للكلمات، وتقديم خدمات القاموس التعليمي الناطق.

14. تقديم خدمة تعدد المصادر التعليمية لهيئة التدريس والمتعلمين وتوفيرها بالاتصال المباشر.

15. توفير التعليم غير المحدد بزمان ومكان مع استيعاب الموضوعات بكفاءة في العمق والاتساع المعلوماتي[12].

وتجدر الإشارة إلى أن الدراسات التربوية في الغرب تولي اهتماماً متزايداً لاستخدام الحاسوب والشابكة «الإنترنيت» لتنمية مهارات القراءة الأساسية والمتقدمة من رياض الأطفال حتى طالب الجامعة، وهناك عدد من البرامج الحاسوبية المتوفرة حالياً ابتداءً من مهارة تمييز الحروف والكلمات إلى استيعاب النصوص الأدبية وتنمية حصيلة المفردات، ومهارات انتقاء الكتب، والبحث عن المعلومات، وزيادة سرعة القراءة، ويستعمل الحاسوب حالياً أداةً أساسية في عيادات أمراض القراءة للتشخيص والعلاج وتقييم الجاهزية القرائية.

وثمة صيحات تنطلق لتقول: «وداعاً قراءةَ المطالعة والتلقي السلبي والاقتصار على النصوص، ومرحباً بقراءة التفاعل والإبحار والسيولة الرمزية لانصهار المكتوب والمرئي

---

[12] الدكتور رشدي أحمد طعيمة ــ المفاهيم اللغوية: أسسها، مهاراتها، تدريسها، تقويمها ــ دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة ــ عمان، الأردن ــ 2007 ــ ص183.

والمسموع في وسائل الوسائط المتعددة»[13].

5. التركيز على وحدة اللغة والتكامل بين مهاراتها:

كانت المناهج التربوية من قبل تعمل على تجزئة اللغة وتفكيك أوصالها إلى قراءة وقواعد ونحو وتعبير، مع تخصيص كتاب مقرر لكل جزء من هذه الأجزاء والفروع، فتبدو هذه الأجزاء والفروع وكأنها علوم منفصلة بعضها عن بعض من غير رابط يربط بينها. أما التربية المعاصرة فترى أن هذه الفروع ما هي إلا روافد للتواصل اللغوي والتعبير، فالقواعد النحوية وسيلة وليست غاية، وسيلة لتقويم القلم واللسان من الاعوجاج والزلل، والقواعد الإملائية وسيلة لتقويم القلم من الخطأ، والقراءة والنصوص وسيلتان لتزويد المتعلم بالمفردات والقوالب اللغوية والمعاني والفكر والصور والأخيلة والاتجاهات والقيم لتُستعمل بعد ذلك في التعبير والتواصل.

وفي ضوء هذا التوجه تقدم اللغة على أنها وحدة متكاملة، ويدرب على مهاراتها كافة من خلال موضوع واحد أو نص واحد، يستمع إليه المتعلمون، ثم يقرؤونه ويعملون على تحليله، ثم يعبرون عن مضمونه شفوياً وكتابياً، فيتعرَّفون مستويات اللغة أصواتاً وكلمات وتراكيبَ وأنماطاً وأساليبَ وصوراً وأخيلة... إلخ، ويمارسون المهارات اللغوية استماعاً ومحادثة وقراءة وكتابة، فالنص الذي يقرؤونه يعبرون عنه شفوياً بأساليبهم، والموضوعات التي يتحدثون عنها بأساليبهم يكتبونها، وكلما تطورت قدرة المتعلم على الاستماع تطورت قراءته، وتطورت قدرته على ما يدفعه بالتدريج إلى الاعتماد على نفسه في عملية التعليم. وغدت التربية المعاصرة تركز على النص المتكامل والمهارات المتكاملة كما هي عليه الحال في واقع الحياة وفي سياقها اللغوي لا مجزأة ولا منفصلة.

---

[13] الدكتور نبيل علي ــ تقانة المعلومات والثقافة ــ دار العين للنشر ــ القاهرة ــ 2006 ــ ص264.

6. إيلاء مهارة الاستماع الأهمية:

لقد كانت هذه المهارة مهملة من قبلُ بسبب اعتقادات خاطئة، منها أن مهارة الاستماع شأنها شأن غيرها من المهارات تنمو مع الطفل بصورة طبيعية كالمشي أو الكلام، ومنها الاعتقاد أن مهارة الاستماع تستعصي على البحث العلمي والقياس الكمي، وأن الاستماع هو السماع ولا فرق كبيراً بينهما، ومنها الاعتقاد أن الإنسان يقضي معظم وقته متكلماً أو قارئاً أكثر منه مستمعاً، وأن الاستماع نشاط مصاحب للأنشطة الأخرى، ومهارة مشتركة مع غيرها من المهارات الأخرى، مما لا يستوجب أن يخصص لها حصص لتدريسها أو أوقات لتنميتها.

يضاف إلى ذلك كله قلة البحث العلمي الذي أجري في ميدان الاستماع، وعدم تدريب المعلمين على تدريسه، وعدم توفير أدوات موضوعية لقياسه، ومن ثَم تقويم مستوى المتعلمين فيه.

أما التجديد الذي حصل في ميدان تعليم اللغة وتعلمها فهو إيلاء مهارة الاستماع الأهمية كغيرها من المهارات اللغوية، وإيلاء قراءة الاستماع الأهمية أيضاً، على أن يوظف الاستماع في تعزيز سائر المهارات اللغوية الأخرى.

7. التركيز على الوظيفية في اختيار المادة:

مع أن الدعوة إلى الوظيفية كانت معروفة في تراثنا العربي، فإن مناهجنا التربوية من قبلُ لم تكن تتخير الموضوعات والمباحث في ضوء الاستعمال والشيوع والتواتر في مواقف الحياة، فكانت ثمة دعوة في التربية المعاصرة إلى النحو الوظيفي والتعبير الوظيفي، أي إلى ما يساعد المتعلم على التواصل اللغوي مع أفراد مجتمعه بصورة ميسرة، بحيث تؤدي اللغة وظيفة له في التعبير عن حاجاته ورغباته وميوله واهتماماته، والتفاعل الإيجابي الفعّال في مواقف الحياة. وبعد أن كان التعبير يميل إلى الجانب الإبداعي غدا التركيز حالياً في مراحل التعليم كافة على التعبير الوظيفي، من حيث إلقاء الكلمات في المناسبات المختلفة، وأصول تقديم الطلبات، وملء الاستمارات، وإدارة الاجتماعات، وكتابة محاضر الجلسات... إلخ.

وبعد أن كان النحو يثقل كاهل المتعلمين بالمماحكات والتأويلات والشذوذ والاستثناءات، صار التركيز حالياً ينصب على تعليم المتعلمين أساسيات القواعد النحوية مصطلحاً وتطبيقاً واستبعاد المماحكات والتأويلات التي تعسر المادة وتنفر المتعلمين من الإقبال عليها.

ولقد تأثر تعليم اللغة وتعلمها بمعطيات علوم اللسان، ومن معايير هذه العلوم أن تُنْتَقى المادة اللغوية في تعليم اللغة وتعلمها استناداً إلى مبدأ الشيوع والتواتر، بحيث يجري التركيز على الموضوعات الأساسية، فما استُعمل بكثرة عدُّ أساسياً، وما لم يستعمل إلا بنسبة ضئيلة عُدَّ ثانوياً يترك للمتخصصين فيما بعد.

8. تعليم اللغة من خلال قوالبها وبناها لا من خلال مفرداتها:

يرى اللسانيون المعاصرون أن تعليم اللغة لا يكون من خلال مفرداتها بل من خلال تركيباتها المتجانسة، ذلك لأن اللغة تتجلى في الطريقة التي تنظم بها كلماتها أكثر مما تجلى في سائر كلماتها منفردة. ومن هنا كان التركيز على الأنماط اللغوية في تعليم اللغة وتعلمها بحيث يصبح استعمالها عفوياً من غير الدخول في المصطلحات في بادئ الأمر، ويمكن تعليم آلاف المفردات من خلال قالب واحد أو بنية واحدة. والطفل نفسه يستعمل الكثير من التراكيب والبنى اللغوية استعمالاً لا شعورياً، والمَعْبر بين اللاشعور إلى الشعور والإدراك هو المستند الأول في تشكيل البنى اللغوية، وأما المستند الثاني فهو العبور من المحسوس إلى المجرد[14]. وفي عملية الارتقاء من القوالب التي يستعملها الطفل لا شعورياً لا بدّ من أن يأخذ المعلم بيده ليدله ويساعده على الإدراك والفهم، من خلال مجهود شخصي استقرائي يبذله الطفل تحت مراقبة معلمه وتوجيهه[15].

---

[14] Pierre Clarac – L'enseignement du francais – press universitaires de France – Paris – 1969 – p 25.

[15] المرجع السابق.

9. تفريد التعليم:

كانت التربية التقليدية تنظر إلى المتعلمين على أنهم كتلة متجانسة، أما التربية المعاصرة فترى أن ثمة فروقاً فردية بين المتعلمين، وهذا ما يدعو إلى تنويع أساليب التعليم وتعليم كل فرد بحسب إمكاناته الخاصة، كما يدعو إلى تنويع المستويات اللغوية المقدمة أيضاً، وتحديد الأنشطة والوسائل والتقنيات في ضوء ذلك، وإضفاء شيء من المرونة على المنهج بحيث يراعي ما بين المعلمين، وإتاحة الفرصة للمتفوقين منهم لتنمية ميولهم وقدراتهم بغية دفعهم إلى مزيد من التقدم.

10. التركيز على التعلم الذاتي:

لما كان التعلم الذاتي هو الأساس للتعلم المستمر مدى الحياة، عَمِلَتِ التربية المعاصرة على إيلائه الاهتمام، وفي تعليم اللغة وتعلمها روعي التعلم الذاتي في التدريبات والتطبيقات المبرمجة، إن في الإملاء أو في القواعد أو في البلاغة أو في العروض أو في الأساليب... إلخ. ومن أشكال التعلم الذاتي الرزم التعليمية والمختبرات اللغوية والتعليم بالحاسوب... إلخ.

وإذا نجح النظام التربوي في غرس الشغف بالقراءة لدى المتعلمين غدت القراءة الحرة مطلباً ملحاً لديهم، وغدا الكتاب الصديق الصدوق للمتعلم في حلّه وترحاله.

11. اعتماد الاختبارات الموضوعية في قياس الأداء اللغوي:

لم تعد الاختبارات التحصيلية معياراً واحداً للحكم على مستوى الأداء اللغوي في جميع المهارات اللغوية، وإنما وضعت معايير علمية موضوعية لهذا الحكم، ولم تقتصر الاختبارات الموضوعية على القواعد النحوية والإملائية ومعاني الألفاظ والعروض، وإنما شقت طريقها إلى التذوق الأدبي.

وفي ضوء هذا التجديد وضعت اختبارات التمكن اللغوي في نهاية مرحلة معينة، أو في الدخول إلى الجامعات والمعاهد أو في المسابقات التي تجريها الدولة... إلخ.

12. اعتماد المفهوم المنظومي في بناء المناهج اللغوية:

كان بناء المناهج اللغوية يجري من قبلُ في ضوء ما يراه الكبار الراشدون والمتخصصون في المادة اللغوية. أما بناء المناهج وفق النظرة الجديدة إلى المنهج على أنه نظام «System» فقد أصبح عبارة عن حصيلة تفاعل عضوي مستمر لمجموعة متشابكة من العوامل تشمل المجتمعَ بثقافته وفلسفته ومشكلاته، والمتعلمَ من حيث النظر إلى طبيعته وفهم خصائص نموه وأساليب تعلمه، كما تشمل العصر الذي يحيا فيه المتعلم باتجاهاته ومناشطه.

ويجري بناء المناهج الحديثة في خطوات تبدأ بتحديد أساسيات المادة تحديداً علمياً، ثم يختار من هذه الأساسيات أكثرها فائدة للمتعلم من حيث مساعدته على الإسهام في حل مشكلات مجتمعه، ومواجهة مشكلات حياته الخاصة، وإشباع حاجاته وتنمية ميوله، ثم تهيأ الظروف والإمكانات المناسبة لتحقيق الأهداف التي وضعت هذه المناهج من أجلها[16].

---

[16] المرجع الثاني ــ ص180.